﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

[الإنسان: 23 - 26]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

تكريم أخرويّ، وتشريف دنيويّ؛ تسليةً لصاحب المقام العليّ

لمّا ذكر الحقُّ سبحانه أصناف الوعد والوعيد، وبيَّن أحوال الكفّار والمؤمنين في الآخرة، ذَكَرَ ما شرَّف به نَبيَّه محمَّدًا ﷺ وما به ينشرح صدره، ويثبِّته في طريق الدَّعوة إلى الله؛ بسبب ما نسبوه إليه من كهانةٍ وسحرٍ[1]، ولمّا كان مِن ضروب إعراضهم عن قبول دعوته ضربٌ فيه رغباتٌ منهم مثل أن يترك قرعهم بقوارع التَّنزيل مِن تأفين رأيهم وتحقير دينهم وأصنامهم، وربما عرضوا عليه الصِّهْر معهم، أو بذل المال منهم؛ أعقب أمره بالصَّبر على ما هو من ضروب الإعراض في صلابة وشدَّة، بأنْ نهاه عن أن يطيعهم في الضَّرب الآخر مِن ضروب الإعراض الواقع في قالب اللِّين والرَّغبة[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بُكْرَةً﴾: (بكر) أصْلٌ يدُلُّ على أوَّلِ الشَّيْءِ وبَدْئِه، ومنه: البُكْرَةُ وهيَ الغَداةُ، والجَمْعُ: البُكَرُ. والتَّبْكيرُ والبُكورُ والابْتِكارُ المُضيُّ في ذلكَ الوقْتِ[3]. والإبكارُ: اسْم البُكْرة، كالإصباح. هَذا قَول

(1) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 148، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 369، والبقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 155.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 403، والطِّيبيُّ، حاشية على الكشّاف: 16/ 213، والسَّعديُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 901.

(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (بكر).

أهل اللُّغَة. وعِنْد ابن سيده: أنّه مصدر أَبْكَرَ[1]. وهو الدُّخول في ذَلِك الوقْت، ويُقال: باكَرْتُ الشَّيْء، إذا بكَّرْتَ لَهُ[2]. والبُكْرَة: أوّل النَّهار، واشتُقَّ مِن لفظه لفظُ الفِعل، فقيل: بَكَرَ فلانٌ بُكورًا: إذا خرج بُكْرَةً، والبَكور: المُبالِغ في البُكرة. وتصوَّر منها معنى التَّعجيل لتقدُّمها على سائر أوقات النَّهار، فقيل لكلِّ مُتعجِّلٍ في أمرٍ: بكْر[3].

2) ﴿وَأَصِيلًا﴾: أَصْلُ الشيء: قاعدته التي لو توهّمت مرتفعة لارتفع بارتفاعه سائره، وقد تَأَصَّلَ كذا وأَصَّلَهُ، ومجد أصيل، وفلان لا أصلَ له ولا فصلَ[4]، وجاءوا بأصيلَتِهم أي بأجمعهم وبجذورهم، والأصيل: العَشيّ من العصر إلى المغرب، باعتبار أنه أول دخول زمن الليل[5] وأصلُه، ويقال لِلْعشية: أصيل وأصيلَة، فجمعُ الأصيل أُصُل وآصال، وجمعُ الأصيلة: أصائِل[6]، وقيل: ما كانَ مِنَ النَّهارِ بَعْدَ العَشيِّ[7].

3) ﴿طَوِيلًا﴾: أصل (طول) يدلُّ على فضل وامتداد في الشَّيء[8]. الطّولُ والقِصَرُ مِن الأسماء المتضايفة، والطّول: خِلاف العرض. وطال الشَّيء؛ أي: امتدَّ. ويُستَعمل في الأعيان والأعراض كالزَّمان وغيره[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

نـــزل الـقـرآن الـكـريـم تثبيتًا لقلب النَّبيِّ ﷺ في أداء الرِّسالة، وحُـجَّـةً لـه مع قوَّة الدِّلالة

يخاطب الحقُّ ﷻ في هذا النَّصِّ القرآنيِّ المبارك رسولَه الكريم ﷺ فيُبيِّن أنَّه قد نزَّل عليه القرآن مِن عنده تنزيلًا مفرَّقًا

(1) ابن دريد، جمهرة اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن سيده، المحكم: (بكر).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (بكر).
(3) الرّاغب، المفردات: (بكر).
(4) الرّاغب، المفردات: (أصل).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (أصل).
(6) الراغب، المفردات: (أصل).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أصل).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (طول).
(9) الجوهريُّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (طول).

منجَّمًا لحكمة هي: أنْ يذكِّر النّاس بما فيه مِن الوعد والوعيد، والثَّواب والعقاب، مستمرًّا ومداومًا على الصَّبر لقضاء ربِّه وحكمه القدريّ مهما لاقَى مِن مقاساة الشَّدائد في سبيل تبليغ الرِّسالة، ومستمرًّا ومداومًا كذلك على عدم اتِّباع مَنْ كان منغمسًا في الشَّهَواتِ أو مبالغًا في الكُفر والضَّلال مِن مشركي قومه، وأن يكون ﷺ ذاكرًا لربِّه سبحانه دائمًا في جميع الأوقات، في أوَّل النَّهار وآخره، وأن يحرص ﷺ كذلك على أنْ يأخذ وقتًا مِن اللَّيل ليخلو فيه مع ربِّه ﷻ، فيصلّي له ويتهجَّد زمنًا طويلًا؛ رجاء التَّثبيت والنَّصر على الأعداء[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الاستئناف:

القرآن وحي حقّ، وتنزيل صِدق

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ جاءت الآية على صيغة الاستئناف الابتدائيِّ، والأرجح أنَّه استئناف للانتقال مِن الاستدلال على ثبوت البَعث بالحُجة والتَّرهيب والوعيد للكافرين به والتَّرغيب والوعد للمؤمنين به بمرهِّبات ومرغِّبات هي مِن الأحوال التي تكون بعد البعث، فلمّا استوفى ذلك ثُني عِنانُ الكلام إلى تثبيت الرَّسول ﷺ والرَّبط على قلبه لدفاع أن تلحقه آثار الغمّ على تصلُّب قومه في كفرهم وتكذيبهم بما أنزل عليه ممّا شأنُه أن يوهن العزيمة البشريَّة، فذكَّره الله بأنَّه نزَّل عليه الكتاب لئلّا يعبأ بتكذيبهم.

وفي إيراد هذا بعد طول الكلام في أحوال الآخرة قضاءٌ لحقِّ الاعتناء بأحوال النّاس في الدُّنيا فابتُدئ بحال أشرف النّاس وهو الرَّسول ﷺ ثمَّ بحال الذين دعاهم الرَّسول ﷺ بيْن مَن يحبّون العاجلة، ومَن اتَّخذ إلى ربِّه سبيلًا فأدخلهم في رحمته"[2].

(1) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 272، والسَّعديُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 901 - 903.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 402.

نكتة توالي المؤكِّدات في الآية:

يقطع التَّوكيد الشُّكوك، ويشير إلى حكمة ملِك الملوك

جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ مؤكَّدًا بجملة مِن المؤكِّدات. منها: (إنَّ)، و﴿نَحْنُ﴾، و﴿تَنزِيلًا﴾؛ للرَّدِّ على أولئك الجاحدين الذين أنكروا أن يكون القرآن مِن عند الله تعالى، وقالوا في شأنه: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: 31][1].

وجاء التَّوكيد بـ(إنَّ) لمضمون الخبر ومدلول المخبَر عنه اهتمامًا به، وأُكِّد الفعل بالمصدر[2]، "وتكرير الضَّمير بعد إيقاعه اسمًا لـ(إنَّ) تأكيدٌ على تأكيدٍ لمعنى اختصاص الله تعالى بالتَّنزيل"[3]؛ فإنَّ قوله جلَّ ثناؤه: ﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾ يفيد الاختصاص، وتكريرُ الضَّمير مع (إنَّ) تأكيدٌ لهذا الاختصاص سواءٌ كان ﴿نَحْنُ﴾ بعدَه تأكيدًا، أو مبتدأً، أو فصلًا؛ وذلك ليتمكَّن في الذِّهن أنَّه تعالى هو المنزِّل لا غيره"[4]؛ لأنَّ "تأكيد الضَّمير المتَّصل بضميرٍ منفصلٍ في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ هو تقريرٌ لمدلولِ الضَّمير تأكيدًا لفظيًّا للتَّنبيه على عظَمَة ذلك الضَّمير، ليفضي به إلى زيادة الاهتمام بالخبر إذ يتقرَّر أنَّه فِعلُ مَن ذانِكَ الضَّميران له؛ لأنَّه لا يفعل إلّا فعلًا منوطًا بحكمة وأقصى الصَّواب. وهذا مِن الكناية الرَّمزيَّة. وبعدُ فالخبر بمجموعه مستعمَل في لازمِ معناه وهو التَّثبيت والتَّأييد، فمجموعُه كناية رمزيَّة"[5].

الغرض من التَّعبير بالمسند الفعليّ، ودلالة مجيء فعله ماضيًا:

دلَّ التَّقديم على التَّوكيد والحصر، ردًّا على مَن رمَى القرآن بالشِّعر والسِّحر

تقديم المسند إليه على الخبر الفعليّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ مفيد للحصر ردًّا على مَن قال إنَّه سحر أو

(1) طنطاويٌّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 226.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 369.
(3) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 674، والبيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 272.
(4) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 291.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 402.

كهانة أو شعر[1]، والمراد منه تمكين المعنى وتثبيته وقد حصل ذلك من تكرُّر الإسناد؛ لأنَّ الفعل (نزَّل) قد أُسنِد مرَّتين: مرَّة إلى المسند إليه (الضَّمير المتَّصل بالنّاسخ في ﴿إِنَّا﴾)، ومرَّة إلى ضميره المتَّصل به (الضَّمير المتَّصل في ﴿نَزَّلْنَا﴾)، العائد أيضًا على المسند إليه، فهو بمثابة التَّعبير بجملة فعليَّة مكرَّرة، فيقوى الحكم ويثبت في الذِّهن[2]، وقد أوثر فيه استعمال هذا الأسلوب إشعارًا بأنَّ الحكمة والصَّواب منحصر في هذا النَّوع مِن التَّنزيل، فكأنَّه كرَّر الإسناد إلى نفسه وجعله مختصًّا به، والحكيم لا يفعل إلّا ما هو حكمته[3].

دلالة التَّعبير بالماضي مسندًا لنون العظَمَة ﴿نَزَّلْنَا﴾:

التَّعبير بالماضي يفيد التحقق، وذلك لأنَّه يدلُّ على شيء قد وقع وتحقَّق وقوعُه، والتَّعبير بضمير التَّعظيم يدلُّ على تعظيم هذا الفعل المتَّصل به ضمير التَّعظيم هذا، وهذا ظاهر؛ لأنَّ تنزيل القرآن الذي هو صفة الحقّ، وبه هداية الخَلْق، فهو مفتاح كلِّ خير، ومغلاق كلِّ شرّ.

الماضي مفيد للتَّحقيق، وهو بتوكيد المعنى حقيق

سر التَّعبير بالتَّنزيل دون الإنزال:

في قوله تعالى: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ إشارة إلى أنَّ هذا القرآن ينزل على النَّبيّ ﷺ آياتٍ آياتٍ لا جملةً واحدة، كما يفيد ذلك لفظُ الفعل (نزَّل) الذي يفيد وقوع الفعل حالًا بعد حال، لا مرَّة واحدة[4] فالفرق بين الإنزال والتَّنزيل أنَّ التَّنزيل مختَصٌّ بالنُّزول على سبيل التَّدريج، أمّا الإنزال فمختَصٌّ بما يكون النُّزول فيه دفعةً واحدة[5]. وجاء إيثارُ فعل ﴿نَزَّلْنَا﴾ الدّالِّ على تنزيله منجَّمًا آياتٍ

عُبِّر بالتَّنزيل لإشارة إلى تنجيم نزول الذِّكر الجليل

(1) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 495.
(2) حسن عبد الرّازق، البلاغة الصّافية، ص: 125، وحسن طبل، علم المعاني، ص: 125.
(3) ثناء الله المظهريُّ، التَّفسير المظهريُّ: 10/ 161.
(4) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1382.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 5/ 254، وابن عادل، اللُّباب: 3/ 280.

وسورًا تنزيلًا مفرَّقًا إدماجٌ للإيماء إلى أنَّ ذلك كان مِن حكمة الله تعالى التي أومأ إليها تأكيد الخبر بـ(إنَّ)، وتأكيد الضَّمير المتَّصل بالضَّمير المنفصِل، فاجتمع فيه تأكيد على تأكيد، وذلك يفيد مفادَ القصر؛ إذ ليس الحصر والتَّخصيص إلّا تأكيدًا على تأكيد كما قال السَّكّاكيُّ، فالمعنى: ما نزَّل عليك القرآن إلّا أنا. وفيه تعريض بالمشركين الذين قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: 32]، فجعلوا تنزيله مفرَّقًا شبهةً في أنَّه ليس مِن عند الله. والمعنى: ما أنزله منجَّمًا إلّا أنا، واقتضت حكمتي أن أنزله عليك منجَّمًا[1]؛ "ليكون أسهل لحفظه وتفهُّمه ودراسته، ولتكون الأحكام آتية وفق الحوادث التي تجدُّ في الكون، فتكون تثبيتًا لإيمان المؤمنين، وزيادة في تقوى المتَّقين"[2].

معنى (على) ودلالتها:

القرآن الكريم تنزيل العليّ الحكيم

الأصل في معنى (على) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاستعلاء حقيقيًّا كان أم مجازيًّا، ولفظها يدلُّ على ذلك، فهي من العُلوّ[3]. وهذا هو المراد هنا في قوله تعالى: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾؛ لأنَّ تعدية فعل التَّنزيل "بـ(على)؛ لأنَّ التَّنزيل مِن فوق"[4]، فهو كلام العليِّ الحكيم. وفي هذا دليل على عُلوِّ الله تعالى، واستوائه على عرشه، كما هو متقرِّر في مذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

الغرض من تقديم شبه الجملة على المفعول به، ودلالة الخطاب فيه:

في تقديم ذِكره ﷺ تشريف لمكانته، وتخصيص له بآيته

في الآية القرآنية: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ خطاب لسيِّد الخلْق وحبيب الحقّ ﷺ[5] وفيها تقديمٌ لضميره؛ تشريفًا لمكانته،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 402 - 403.
(2) المراغيُّ، تفسير القرآن: 29/ 174.
(3) سيبويه، الكتاب: 4/ 230، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 384، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 497، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 47.
(4) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 495.
(5) طنطاويُّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 226، والدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 363.

وتخصيصًا له بآيته؛ إذ المعنى: إنّا نحن - أي: وحدنا - الذين نزَّلنا عليك - وحدَك أيُّها الرَّسول الكريم - هذا القرآنَ تنزيلًا محكمًا، وفصَّلناه تفصيلًا متقنًا، بأنْ أنزلناه على قلبك مفرَّقًا على حسب مشيئتنا وحكمتنا؛ ابتلاء منّا واختبارًا[1] ففي تقديم شبه الجملة تخصيص، فلم ينزل القرآن الكريم على أحد غير النَّبيِّ ﷺ وفيه ردٌّ على مَن ادَّعوا النُّبوَّة وزعموا أنَّهم يوحَى إليهم، وردٌّ على الذين افتروا على الله سبحانه الكذب بأنْ قالوا: ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾ [الملك: 9]، وافتروا على النَّبيِّ ﷺ الكذب بأن قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ﴾ [النَّحل: 103]. كما أنَّ في هذا التَّقديم تشريفًا للمقدَّم، ﷺ.

معنى اللام ودلالتها في ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾:

أكثر القرآن في تقرير عظمة القرآن

الأقرب أن تكون اللام للعهد، إمّا الذِّهنيُّ فيراد به ما نزل قبل نزول آيات هذه السّورة الكريمة، وإمّا الحضوريُّ، فيراد به هذه الآيات التي نزلت آنذاك، والمحصِّلة أنَّ كلَّ ما نزل وما سينزل إنَّما هو مِن تنزيل الله تعالى وحده.

دلالة التَّعبير بالمفعول المطلَق، ونكتة تنكيره ﴿تَنزِيلًا﴾:

تفريقُ تقريرِ شأنِه أتقنُ ما يكون في إحكامِ أمرِه

أوثر التَّعبير بالمصدر في قوله جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾؛ لتأكيد التَّنزيل؛ دفعًا لتوهُّم المجاز، أو للتَّفخيم بواسطة التَّنكير[2]؛ أي: تَنْزيلًا عظيما لا يقدَّر قدره، وفي هذا ردٌّ لعظيم إنكار الكافرين وشدَّة إعراضهم[3]، فالمراد: ﴿نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: مفرَّقًا منجَّمًا لحكمةٍ اقتضتْ ذلك، فما افترَيْتَه ولا جئتَ به مِن عندِك، ولا مِن تلقاءِ نفسِك، كما يدَّعيه المشركون[4].

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 115.
(2) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 495.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 152، والقاسميُّ، محاسن التَّأويل: 9/ 378.
(4) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 148، والبيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 272.

معنى (الفاء) ودلالتها:

هـديـنـاك إلى هـذه الأسـرار، وشرحنا صدرك بهذه الأنوار

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ للإفصاح عن شرط مقدَّر؛ "أي: ما دام الأمر كما ذكرنا لك أيُّها الرَّسول الكريم فاصبر لحكم ربِّك، واخضع لقضائه ومشيئته، فهو سبحانه الكفيل بنصرك عليهم"[1]، "وإذا كان ما ذُكِر مِن تنزيل القرآن واقعًا، وحاصلًا مِن عندنا لا مِن عند غيرنا؛ فاصبر"[2]، "اصبر على قضائه وقَدَره، واعلم أنَّه سَيُدَبِّرك بحسن تدبيره"[3] ويجوز أن تكون "الفاء في ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ للسَّببيَّة"[4]؛ "أي: وبسبب أنّا أنزلنا عليك القرآن تنزيلًا - اصبر لحكم ربِّك؛ أي: اصبر على امتداد نزول القرآن عليك، وما دام القرآن لم يختم فإنَّ مسيرتك لم تنته، وزادك في هذه المسيرة، هو الصَّبر.. فاصبر"[5].

فائدة ذكر الصَّبر دون الشُّكر ونحوه بعد ذِكر تنزيل القرآن:

الـوحـي قـول جـلـيـل ثـقـيـل، يحتاج إلى صبر للقيام بأعباء التَّنزيل

قد يرِد على الإنسان سؤال في نفسه؛ حيث يقول: من المُتوقَّع أنَّه لمّا قال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾ أن يقول: فاشكر نعمة الله؛ لأنَّ تنزيل القرآن عليه ﷺ نعمةٌ، فلماذا قال الله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾؟ ذلك لأنَّ تنزيل القرآن عليه ﷺ عهدٌ وميثاقٌ أن يُبلِّغه إلى الأُمَّة، وتبليغُه إلى الأُمَّة يحتاج إلى صبر ومعاناة؛ لأنَّه سوف يُكذَّب، وسوف يُؤذَى على هذا الوحي، فيحتاج إلى صبر؛ ولهذا نقول لكلِّ مَن مَنَّ الله عليه بعلم: اصبر على ما أعطاك الله مِن العِلم، ابذُل هذا العِلم تعليمًا، ودعوةً، وخُلُقًا، وأدبًا، وعبادةً؛ لأنَّ الله لم يُحمِّلْك هذا العِلمَ إلّا ليسألك عنه يوم القيامة[6].

---

(1) طنطاويٌّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 227.
(2) الدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 364.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 293.
(4) القونويٌّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 495، وثناء الله المظهريٌّ، التَّفسير المظهريٌّ: 10/ 161.
(5) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيٌّ للقرآن: 15/ 1382.
(6) العثيمين، تفسير جزء قد سمع وتبارك: 14/ 358.

الغرض مِن الأمر وتعيين المخاطَب به:

الأمر للاستمرار والدَّوام، فكلُّ ذلك كان مِن فعله ﷺ

ذكر البلاغيّون أنَّ الأمر إذا وُجِّه إلى قائم به، وكذا النَّهي إذا وُجِّه إلى كافٍّ عنه فإنَّهما يراد بهما في هذه الحالة حثُّ المخاطَب بهما على الاستمرار والدَّوام على ما هو عليه مِن فعل أو ترك؛ حتَّى يزداد تمسُّكًا بما هو عليه مِن الحقِّ واليقين؛ تثبيتًا له، وتسكينًا لقلبه[1]. وعلى هذا يتوجَّه الأمر في هذه الآيات ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾، و﴿وَٱذۡكُرِ﴾، و﴿وَٱسۡجُدۡ﴾، و﴿وَسَبِّحۡهُ﴾؛ فإنَّ رسولنا العظيم ﷺ كان صابرًا لحكم ربِّه سبحانه، ذاكرًا له ﷻ في كلِّ أحواله، قائمًا باللَّيل سجّادًا، فالأمر هنا مفيد للدَّوام؛ فقوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾؛ يعني: استقم على أمر الله تعالى ونهيه، مداومًا عليه[2]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرِ﴾؛ يعني: وداوم على ذِكره، أو دُمْ على الصَّلاة[3]؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يترك ذِكر ربِّه تعالى حتَّى يؤمَر به[4].

نكتة تعدية فعل الصَّبر باللّام:

عُدِّي فعل الصَّبر باللّام، لتضمُّنه معنى الخضوع والاستسلام

عُدِّي فعل ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ باللّام لتضمُّن الصَّبر معنى الخضوع والطّاعة للأمر الشّاقّ، وقد يُعَدَّى بحرف (على) كما قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل: 10]. ومناسبة مقام الكلام ترجّح إحدى التَّعديتَيْن[5]، وهي هنا الصَّبر على أذى المشركين، والكفُّ عن قتالهم حتَّى يأذن الله - تعالى به - مع الاستمرار والدَّوام على كافَّة التَّكاليف الشَّرعيَّة مِن الفروض، والتَّمسُّك بالنَّوافل.

---

(1) السَّكّاكيُّ، مفتاح العلوم، ص: 312، والإسفراييني، الأطول: 1/ 601، والعُمريُّ، درر الفوائد، ص: 268.

(2) السَّمرقنديُّ، بحر العلوم: 3/ 529.

(3) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 272.

(4) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 292، والقونويُّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 497.

(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 403.

معنى (اللّام) ودلالتها:

لكلّ أجلٍ كتاب، وللصَّبر أعظم الثَّواب

الأصل في معنى (اللّام) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاختصاص[1]. وهو في قوله تعالى: ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ دالٌّ على الحينيَّة؛ "أي بمعنى: حين؛ أي: إلى حين حكم ربك"[2]. وفيه معنى الاختصاص أيضًا، كأنَّه قال: اصبر صبرًا خاصًّا بانتظارك مجيء حكم ربِّك.

نوع الإضافة ودلالتها في ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، وبيان سرّ التَّعبير بالرُّبوبيَّة:

في قوله تعالى: ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ إضافتان: **الأولى**: إضافة الحكم إلى الاسم الأحسن، **والثّانية**: إضافة الاسم الأحسن إلى ضمير الخطاب العائد إلى سيّد الخلْق ﷺ ولكلٍّ دلالتها.

في الإضافة تشريف وتعظيم، وفي الرُّبوبيَّة أثر لُطف البَرّ الرَّحيم

فأمّا إضافة الحُكم إلى الاسم الأحسن ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فلتعظيم الحكم مِن حيث كونه حكم الحكيم الخبير، العليم القدير، وأمّا إضافة الاسم الأحسن إلى ضمير الخطاب المعنيّ به النَّبيُّ ﷺ فلتشريفه النَّبيّ ﷺ ولتسكين قلبه بأنَّ هذا الحُكم هو عين الحكمة والرَّحمة.

من أرسلكَ لنْ يكلكَ

أمّا إيثار التَّعبير بالرُّبوبيَّة فلأنَّ مِن لوازمها: الخلْقَ، والرِّزق، والملك، والتَّدبير، والعناية، والرِّعاية، والتَّربية، والإحسان[3]. وكلُّ هذا مراد هنا، فقوله تعالى: ﴿رَبِّكَ﴾؛ "أي: المحسن إليك بتخصيصه لك بهذه النِّعمة"[4]، الذي ما نَزَّل عليك القرآن لتشقى، بل رحمة وذكرى، ومنَّة كبرى، فأنتَ يا أكرم الخلق عند ربِّك في عين الرِّعاية، وحصن العناية، ومعارج الهداية، فالذي أحسن إليك بالخلْق والرِّزق، ومنَّ عليك فأرسلك بالحقّ، لن يسلمك لأعدائك.

---

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 479، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 64.

(2) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1382.

(3) أحمد الزامليُّ، الآيات القرآنيَّة الواردة في الرَّدِّ على البدع المتقابلة - دراسة عقديَّة: 1/ 194.

(4) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 154.

دلالة عطف النَّهي على الأمر ﴿وَلَا تُطِعْ﴾:

في عطف النَّهي على الأمر تأكيدٌ لطلب المداومة على الصَّبر

جاءت الآية: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ معطوفة على جملة ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[1]، وهذا عطف للنَّهي على الأمر لما بينهما مِن بديع المناسبة، ذلك أنَّه "لمّا أمره سبحانه بالصَّبر، وكان الأمر به مفهومًا وجوده للمخالف، وكان المخالفون له ﷺ هم القِسمَ المضادَّ للشّاكر وهم الكفرة، وكان ما يدْعونه إليه تارةً مطلقَ إثم، وأخرى كفرًا، وثالثة غيرَ ذلك - ذَكَر النَّتيجة ناهيًا عن القِسمين الأوَّلين ليعلم أنَّ المسكوت عنه لا نهي فيه فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[2].

وفي هذا النَّهي تأكيد للأمر بالصَّبر؛ لأنَّ النَّهي عنه يشمل كلَّ ما يرفع موجبات الصَّبر المراد هنا. والمقصود مِن هذا النَّهي تأييسهم مِن استجابته ﷺ لهم حين يقرأ عليهم هذه الآية؛ لأنَّهم يحسبون أنَّ ما عرضوه عليه سيكون صارفًا له عمّا هو قائمٌ به مِن الدَّعوة إذ هم بُعَداء عن إدراك ماهيَّة الرِّسالة ونزاهة الرَّسول ﷺ[3].

فإنْ قيل: "قولُه: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ دخل فيه: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ فكان ذكره بعد هذا تكريرًا؟ فالجواب: الأوَّلُ أمرٌ بالمأمورات، والثّاني نهيٌ عن المنهيّات، ودلالة أحدهما على الآخر بالالتزام لا بالتَّصريح، فيكون التَّصريح به مفيدًا[4].

معنى (مِن) ودلالتها في ﴿مِنْهُمْ﴾:

الأصل في معنى (مِن) أنَّه موضوع للدَّلالة على ابتداء الغاية[5]، والمراد بقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾ كفّار مكَّة[6]، فكأنَّه جعلهم ابتداء

(1) محمود صافي، الجدول: 15/ 193.
(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 154.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 403.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 758.
(5) سيبويه، الكتاب: 4/ 224، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 459، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 75.
(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 115، والبغويُّ، معالم التَّنزيل: 8/ 298.

النَّهي عن الطّاعة، فيشمل ذلك جميع الموصوفين بالإثم والكفر حالة دعوتهم إليهما.

الغرض من تقديم شبه الجملة على المفعول به في ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا﴾:

تقدَّم أنَّ قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ "يعني مِن مشركي مكَّة"[1]، وتقديم الضَّمير لا يراد به التَّخصيص بحيث يقال إنَّ المنهيَّ عن طاعتهم هم الآثمون الكافرون مِن أهل مكَّة فقط، بل إنَّ كلَّ آثم وكفور داخل في النَّهي إذا دعا إلى إثمه وكفرانه، فبقي أن يكون التَّقديم لأجل الاهتمام، وموافقة الواقع، وبيان أنَّ المذكورين بالضَّمير هم الذين كانوا يدعون النَّبيَّ ﷺ إلى ترك دعوته، فعرضوا عليه المال والنِّساء والسُّلطان، فأبَى - بأبي هو وأُمّي ونفسي - إلّا أن يؤدِّي ما بُعِث به حتَّى استيأسوا منه ﷺ. فمِن هنا حسُن تقديم ضميرهم للتَّحذير مِن فتنتهم وشرورهم، وتوكيد عدم طاعتهم في إثمهم وكُفورهم.

حسُن تقديم ضميرهم للتَّحذير مِن شرورهم

الغرض مِن تنكير ﴿ءَاثِمًا﴾ وسرُّ مجيئه على صيغة اسم الفاعل:

قوله تعالى: ﴿ءَاثِمًا﴾ وقع نكرة في سياق النَّهي، فهو مفيدٌ للعموم؛ أي: لا تطع منهم أيَّ آثم كان، ولا تطع أحدًا دعاك إلى إثم، أو دعاك إلى كفر، أو إليهما جميعًا فإنَّه داعٍ إلى كلِّ واحد منهما[2] وإنَّما جاء مشتقًّا على زنة اسم الفاعل لأنَّ الحُكم على مشتقٍّ يقتضي أنَّ مأخذ الاشتقاق علَّةٌ؛ أي: ولا تطع منهم ذا إثم[3].

مأخذ الاشتقاق علّة الحُكم، وهو هنا الفجور والإثم

"والمراد بالآثِم والكَفور جنسُهما، وتعليقُ النَّهي بذلك مشعِرٌ بعِلِّيَّة الوصفين له، فلا بدَّ أن يكون النَّهي عن الإطاعة في الإثم والكفر لا فيما ليس بإثمٍ ولا كُفر.

والمراد: ولا تطع مرتكب الإثم الدّاعي لكَ إليه، أو مرتكب الكُفر

(1) الواحديُّ، التَّفسير البسيط: 23/ 58، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 381.
(2) ثناء الله المظهريُّ، التَّفسير المظهريُّ: 10/ 161.
(3) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 149، والشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 292.

الدّاعي إليه؛ أي: لا تتَّبع أحدًا مِن الآثم إذا دعاك إلى الإثم، ومِن الكفور إذا دعاك إلى الكُفر؛ فإنَّه إذا قيل: لا تطع الظّالمَ فُهِمَ منه: لا تتَّبِعْه في الظُّلم إذا دعاك إليه"[1].

سرُّ إيثار العدول:

طاعة الآثم والكفور تفضي إلى ارتكاب الإثم والفجور

كان مقتضى الظّاهر أن يقال: ولا تطعهم، أو ولا تطع منهم أحدًا، فعدل عنه إلى ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ للإشارة بالوصفين إلى أنَّ طاعتهم تفضي إلى ارتكاب إثمٍ أو كُفر؛ لأنَّهم في ذلك يأمرونه وينهَوْنه غالبًا فهم لا يأمرون إلّا بما يلائم صفاتهم، فالمراد بالآثِم والكَفور: الصِّنفان مِن الموصوفين، وتعليق الطّاعة المنهيَّ عنها بهذين النَّوعين مُشعِرٌ بأنَّ الوصفيْن علَّة في النَّهي"[2].

معنى ﴿أَوْ﴾ ودلالتها:

(أو) للدّلالة على أنَّهما سيّان في استحقاق العصيان

لكلمة ﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ زيادةُ معنى لا توجد في الواو، وهو المنع مِن طاعة كلِّ واحد منهما على الانفراد[3]، فهي ههنا أوكد مِن الواو؛ لأنَّ الواو إذا قُلتَ: لا تطع زيدًا وعَمرًا فأطاع أحدَهما كان غيرَ عاصٍ؛ لأنَّه أمَرَه ألّا يطيع الاثنيْن. وهو المناسب هنا لأنَّ المقام للمبالغة في النَّهي عن طاعتهما مجتمعَيْن ومنفردَيْن[4] فمعنى الآية نهيٌ عن طاعة أحد هذيْن الموصوفَيْن، ويُعلَم أنَّ طاعة كليْهما منهيٌّ عنها بدلالة الفحوى؛ لأنَّه إذا أطاعهما معًا فقد تحقَّق منه طاعة أحدهما وزيادة[5]، لأنَّ متى كانت إطاعة كل واحد منهما قبيحة، فالجمع بين الطّاعتين أقبح[6].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 183.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 404.
(3) السَّمعانيُّ، تفسير القرآن: 6/ 122.
(4) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 291.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 405.
(6) الإيجي، جامع البيان: 4/ 423.

سرُّ إيثار المغايرة في التَّعبير بين اسم الفاعل، وصيغة المبالَغة:

أُشير بالمشتقَّيْن إلى شرِّ العباد زعـمـاء الكُـفـر والعناد

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ اشتُقَّ مِن الإثم اسم فاعل هو ﴿ءَاثِمًا﴾، واشتُقَّ مِن الكُفر صيغة مبالغة هي ﴿كَفُورًا﴾، وفي التَّعبير بالمشتقِّ إشارة إلى أنَّ الوصف فيه هو علَّة الحُكم[1]، فالمعنى: لا تطع كلَّ واحد مِن مرتكِبٍ لإثمٍ وغالٍ في كُفر، فنهاه الله سبحانه عن ذلك، وفي ذكر هذين الوصفين إشارة أيضًا إلى زعيمَيْن مِن زُعَماء الكُفر والعناد، وهما عُتبة بنُ ربيعة، والوليدُ بن المغيرة؛ لأنَّ عُتبةَ اشتهر بارتكاب المآثِم والفُسوق، والوليدَ اشتهر بشدَّة الشَّكيمة في الكُفر والعُتوّ، وقد كانا كافرَيْن، فأُشير إلى كلّ واحد منهما بما هو عَلَم فيه بيْن بقيَّة المشركين: مِن كثرة المآثِم لأوَّلهما، والمبالغةِ في الكُفر لثانيهما؛ فلذلك صيغتْ له صيغةُ المبالغة ﴿كَفُورًا﴾"[2]، "ثمَّ صار المراد كلَّ آثم وكافر. لا تطع أيًّا كان فيما دعاك إليه مِن إثم أو كُفر؛ لأنَّ العِبرة بعمومِ اللَّفظ لا بخصوص السَّبب"[3].

نكتة الجمع بين الإثم والكفر في ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾:

جُـمِـع بينهما لـتـشـويـه حـال المتَّصف بهما

"الإثمُ هو الرُّكون للمعاصي، والكُفور: الجُحود للنِّعمة"[4]، فالآثِم هو المُقدِم على المعاصي، أيَّ معصية كانت، والكَفور هو الجاحد للنِّعمة، فكلُّ كَفورٍ آثِمٌ، لكن ليس كلُّ آثم كَفورًا. وكلُّ مَن عَبَدَ غيرَ الله فقد اجتمع في حقِّه هذان الوصفان؛ لأنَّه لمّا عَبَدَ غيرَه فقد عصاه وجَحَدَ إنعامَه[5]. "فالكَفور - وإنْ كان آثمًا - فإنَّ فيه مبالغةً في الكُفر. ولمّا كان وصف الكَفور مباينًا للموصوف لمجرَّد الإثم، صلح التَّغايُر فحسُن العطف"[6].

---

(1) الطِّيبيُّ، حاشية على تفسير الكشَّاف: 16/ 210.
(2) الشَّوكانيُّ، فتح القدير: 5/ 426، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 404.
(3) الزُّحيليُّ، التَّفسير المنير: 29/ 303.
(4) أبو حفص النَّسفيُّ، التَّيسير في التَّفسير: 15/ 156.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 758.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 369.

معنى (الواو) ودلالتها في ﴿وَٱذۡكُرِ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ معطوف على قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾[1] وممّا حسَّن الوصل بين الجملتين كونُهما فعليَّتَيْن طلبيَّتَيْن، ومِن بديع المناسبة بينهما أنَّه "لمّا كان الصَّبر يساعده القيامُ بعبادة الله، والإكثارُ مِن ذكره - أمَرَه الله بذلك فقال: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾، ولمّا كان لا سبيل إلى الصَّبر إلّا بتعويض القلب بشيء هو أحبُّ إليه مِن فوات ما يصبر عليه؛ أمَرَه بأنْ يذكر ربَّه سبحانه بكرة وأصيلًا؛ فإنَّ ذِكرَه أعظمُ العَوْن على تحمُّل مشاقِّ الصَّبر، وأن يصبر لربِّه بالليل فيكون قيامُه بالليل عونًا على ما هو بصدده بالنَّهار، ومادَّة لقوَّته ظاهرًا وباطنًا، ولنعيمه عاجلًا وآجلًا"[2].

لا سبيل إلى الصَّبر إلّا بتعويض القلب بما هو أحبُّ إليه مِن فوات ما يصبر عليه

فائدة ذِكر الاسم في ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾:

"ذِكرُ اسم الرَّبِّ يشمل تبليغ الدَّعوة، ويشمل عبادة الله في الصَّلوات المفروضة والنَّوافل، ويشمل الموعظة بتخويف عقابه ورجاء ثوابه"[3]، "فذِكرُ اسمِه لازمٌ لذكره"[4] فتارةً يقال له: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ وهو إشارةٌ إلى معرفة الأسماء، وتارةً يقال له:

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ [الأعراف: 205] وهو إشارة إلى مقام الصِّفات"[5].

ذِكر الاسم إشارة إلى معرفة الأسماء

نوع الإضافة ودلالتها في ﴿ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ وإيثار التَّعبير بالرُّبوبيَّة:

في قوله تعالى: ﴿ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ إضافتان: **الأولى:** إضافة الاسم إلى الرَّبِّ، **والثّانية:** إضافة الرَّبِّ إلى ضمير الخطاب العائد إلى أكرم الخلْق ﷺ ولكلٍّ منهما دلالتها.

الإضافة إلى العظيم تفيد التَّعظيم

(1) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1383، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 326، ومحمود صافي، الجدول: 15/ 193.
(2) ابن تيميَّة، دقائق التَّفسير: 3/ 25، والسَّعديُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 902.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 405.
(4) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 156.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 760.

أمّا الأولى فلتعظيم الاسم؛ إذ إنَّه أُضيف إلى العظيم الأعظم ﷻ، فحقُّ هذا الاسم أنْ يُذكَر ولا يُنسَى. وأمّا الثّانية فلتشريف النَّبيّ ﷺ، فحقُّه أن يطاع ويُتَّبع، وأمّا ذِكر الرُّبوبيَّة فلِما فيه مِن معاني التَّربية والإحسان والإكرام، وهذا مناسب لهذا المقام.

سر تقييد الذِّكر بـ﴿بُكۡرَةَ وَأَصِيلًا﴾:

جمع التَّقييدُ الفرائض والنَّوافل بألطف إشارة، وأوجز عبارة

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةَ وَأَصِيلًا﴾؛ "أي: صلِّ لربِّك أوَّلَ النَّهار وآخرَه"(1)، وهذا "كنايةٌ عن الدَّوام"(2)؛ إذ التَّقييد بالبُكرة والأصيل يدلُّ على أنَّ المرادَ مِن قوله: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ هو الصَّلواتُ الخمس، فالبُكرة هي صلاة الصُّبح، والأصيل صلاةُ الظُّهر والعصر، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾ يراد به صلاةُ المغرب والعِشاء، فتكون هذه الكلماتُ جامعةً للصَّلوات الخمس وما يتبعها مِن النَّوافل، والذِّكر، والتَّسبيح، والتَّهليل، والتَّكبير في هذه الأوقات، وقد عُبِّر عن ذلك بألطف إشارة، وأوجز عبارة(3) وقد أُريد بالأمر هنا الدَّوامُ؛ لأنَّه ﷺ كان آتيًا بنفس الذِّكر المأمور به(4)، فيكون المعنى: دُم على ذِكر ربِّك في جميع الأوقات. وإنَّما خُصَّ هذان الوقتان لشرفهما(5).

دلالة العطف في ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾:

اللَّيل وقتُ تفرُّغ مِن بثِّ الدَّعوة، وتفرُّغ لبثِّ الدَّعوة

في عطف اللَّيل على البُكرة والأصيل استغراق لأوقات النَّهار كلِّه، فقوله تعالى ﴿بُكۡرَةَ وَأَصِيلًا﴾؛ يعني: في أوَّل النَّهار وآخره، ففي أوَّله صلاة الصُّبح، وفي آخره صلاة الظُّهر والعصر، وقوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾؛ يعني: صلاة المغرب والعشاء الآخرة.

(1) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 150.
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 292.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 759، والسَّعديُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 902.
(4) البروسويُّ، روح البيان 10/ 278.
(5) ابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 203.

وقوله سبحانه: ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا﴾؛ يعني: التَّطوُّع مِن اللَّيل"[1] كما أنَّ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾ إشارةً إلى أنَّ اللَّيل وقتُ تفرُّغ مِن بثِّ الدَّعوة"[2].

معنى (مِن) ودلالتها، والغرض من تقديم مجرورها على الفعل والفاعل:

في التَّقديم دليل اهتمام بصلاة اللَّيل والنّاس نيام

الأصل في معنى (مِن) أنَّه موضوع للدَّلالة على ابتداء الغاية[3]، وهي في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ﴾ ابتدائيَّة بعضيَّة؛ أي: وبعضَ اللَّيل فصلٍّ له[4]، وفي التَّبعيض معنى الابتداء، كأنَّه جعل هذا البعض ابتداءَ الصَّلاة، وتقديم شبه الجملة ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ للاعتناء والاهتمام بظرفها وتشريفه، وذلك لِما في صلاة اللَّيل مِن مَزيد الكُلفة والمشقَّة؛ لأنَّه زمان الاستراحة مِن الأعمال والفراغ، ولِما فيه مِن الخلوص لبعده عن الرِّياء[5]؛ "فاستحقَّتِ الاهتمام بشأنها، وقُدِّم وقتُها لذلك"[6].

معنى (الفاء) ودلالتها في ﴿فَٱسۡجُدۡ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡجُدۡ﴾ على معنى الشَّرطيَّة، فالتَّقدير مهما يكن مِن شيء فصَلِّ مِن اللَّيل، وهو يفيد أيضا بتأكيده الاعتناء التّامَّ"[7]، "ففيها وكادة أخرى لأمرها"[8].

معنى (اللّام) ودلالتها:

خُصَّ ربَّك المعبود بالتَّوحيد والسُّجود

الأصل في معنى (اللّام) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاختصاص[9].

(1) الماورديُّ، النُّكت والعيون: 6/ 172.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 406.
(3) سيبويه، الكتاب: 4/ 224، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 459، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 75.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 76، ومحمَّد الهلال، تفسير القرآن الثَّريُّ الجامع: 12/ 223.
(5) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 272، والشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 292.
(6) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 278.
(7) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 292.
(8) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 278.
(9) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 479، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 64.

وهو المراد في الآية: ﴿فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾؛ أي: اسجد له خصوصًا، وخصَّه بالتَّوحيد والخضوع والصَّلاة والعبادة. وفيه تعريض بالمشركين الذين كانوا يسجدون لأصنام شتَّى لم تنزل عليهم كتابًا، ولم تأمرهم بشيء ولم تنههم عن شيء، أمّا الآمر بالسُّجود هنا فهو الذي نزَّل هذا القرآن تنزيلًا.

بلاغة المجاز المرسَل في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡجُدۡ﴾:

اللَّيل موضع الخضوع، والسُّجود محلُّ ذرف الدُّموع

قوله تعالى: ﴿فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾؛ "أي: أكثِر له مِن السُّجود، ولا يكون ذلك إلّا بالإكثار مِن الصَّلاة"[1]، "فالسُّجود مجازٌ عن الصَّلاة بذِكر الجزء وإرادة الكُلّ"[2]. وإنَّما خصَّ السُّجود "تنبيهًا على أنَّه أفضل الصَّلاة، فهو إشارة إلى أنَّ اللَّيل موضِع الخضوع"[3].

دلالة العطف في ﴿وَسَبِّحۡهُ﴾:

المندوبات حصن المحافظة على المكتوبات

"أصلُ التَّسبيح: التَّنزيهُ. ويُطلَق على مُطلَق العبادة القوليَّة والفعليَّة"[4]، وقد أُريد به هنا: التَّطوُّع[5]، وفي التَّعبير عن التَّهجُّد بالتَّسبيح وتأخير ظرفه دلالة على أنَّه ليس في مرتبة ما قبله[6]، فالعطف قد أشار إلى ضرورة أنْ تُشفع الفرائض بالنَّوافل، وأنْ ينتقل العبد بين الواجبات والمستحبّات التي تعينه على أداء المكتوبات، فهي حصن المحافظة عليها.

سر تقييد الفعل بالظَّرف الموصوف، ودلالة التَّنكير:

مَن أنِسَ بربِّه أطال مناجاته، واستعذب مناداته

التنوين في ﴿لَيۡلٗا﴾ للتَّبعيض، فيفيد أنَّ تهجُّده ﷺ يكون في بعضٍ مِن اللَّيل لا في كلِّ اللَّيل[7] وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا﴾؛ أي:

(1) السَّعديُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 903.
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 292، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 183.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 157.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 183.
(5) الثَّعلبيُّ، الكشف والبيان: 28/ 259.
(6) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 278.
(7) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 292، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 183.

صَلِّ للّٰه أكثرَ ليلِكَ، واجعلْ نومَك في الأقلِّ منه[1]، وتهجَّد له طويلًا مِن اللَّيل: ثلثيْه أو نصفَه أو ثُلُثَه كما مرَّ في (المزَّمِّل)[2].

غير أنَّ توصيف اللَّيل بالطّول ليس للاحتراز عن القصير، فإنَّ الأمر بالتَّهجُّد يتناوله أيضًا، فهو لتطويل زمان التَّسبيح[3]، فهنا أمران: أمر بالسجود للّٰه بعضًا مِن اللَّيل، وأمرٌ بالتَّسبيح له تسبيحًا طويلًا ممتدًّا ما وسع الجهد، وهذا على معنى أنَّ ﴿طَوِيلًا﴾ صفة لمصدر محذوف دلَّ عليه الفعل ﴿وَسَبِّحْهُ﴾؛ أي: سبِّحْه تسبيحًا طويلًا في وقت اللَّيل. وهذا المعنى أوْلَى مِن إعراب ﴿طَوِيلًا﴾ صفة لقوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾؛ فإنَّ وصْفَ اللَّيل هنا بالطّول لا معنى له، فاللَّيل هو اللَّيل، طويلًا كان أم قصيرًا. ثمَّ إنَّ (مِن) التي تفيد التَّبعيض لا تجعل لوصف اللَّيل بالطّول معنى"[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البُكرة والغُدوُّ:

في البُكرةِ تَبكيرٌ ومُبادَرَة

الغدوّ: هو اسمٌ لزمَن الصَّباح وهو النِّصف الأوَّل مِن النَّهار[5]، والبُكرة: أوَّل النَّهار[6]، حيث يخرج أوَّل الضَّوء مِن عمق الظَّلام ثمَّ يسترسل مستمرًّا ومتزايدًا[7]؛ ولِتقدُّمها على سائر أوقات النَّهار استُعمِل منها كلُّ متعجِّل وإن لم يكن في ذلك الوقت، فقيل: بكَّر فلانٌ في حاجته، وابتكَر وباكر[8] وأوثِر لفظُ (البُكرة) دون (الغُدوّ) في قول اللّٰه ﷻ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾؛ لِما في (البُكرة)

(1) أبو حفص النَّسفيُّ، التَّيسير في التَّفسير: 15/ 157.
(2) النَّيسابوريُّ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 418.
(3) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 278.
(4) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1384.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/ 242.
(6) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، المفردات: (بكر).
(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بكر).
(8) السَّمين الحلبيُّ، الدُّرُّ المصون: 3/ 169، وابن عادل، اللُّباب: 5/ 213.

مِن التَّبكير والمبادَرة، وممّا ورَدَ في تفسير الآية: "أي: صَلِّ لربِّك أوَّل النَّهار وآخره، ففي أوَّله صلاة الصُّبح وفي آخره صلاة الظُّهر والعصر"[1]؛ فمَن بادرَ إلى صلاةِ الصُّبح التي ينام عنها الغافلون المفرِّطون، بادرَ إلى الصَّلواتِ كلِّها بلا ريب.

الأصيل والعَشيُّ:

العَشيُّ أعَمُّ مِن الأصيل

لفظ (الأصيل) قد أوتِر في هذه الآية دون (العشيّ)؛ لأنَّ العشيَّ على كونِه من زوال الشَّمس إلى الصَّباح يشمل صلاةَ المغرب والعشاء وصلاةَ التَّطوُّع مِن اللَّيل، وقد أُشير إلى ذلك كلِّه في الآية التّالية، وهي قول الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾؛ يعني: صلاة المغرب والعشاء الآخِرة[2]، ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا﴾؛ يعني: التَّطوُّع من اللَّيل[3].

(1) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 150.
(2) الماورديُّ، النُّكت والعيون: 6/ 172، والقرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 150.
(3) الماورديُّ، النُّكت والعيون: 6/ 172، والقرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 150.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 65 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-17-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-17-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"